

القضية الفلسطينية في وجدان الشعر الجزائري: رؤية نقدية في ثنائية التنديد والتهديد.

The Palestinian Cause in the Consciousness of Algerian Poetry: A Critical Perspective on the Duality of Denunciation and Threat.

د: لحسن قمري*

جامعة أحمد بن بلّة وهران 1 (الجزائر)

lahcenegamri481@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/22

تاريخ الاستلام: 2026/02/15

ملخص:

يحتل الالتزام بالقضية الفلسطينية مكانة بارزة في الشعر الجزائري، حيث تعكس القصائد مواقف متباينة تتراوح بين التنديد بالاحتلال والتعبير عن الغضب، وصولاً إلى التهديد والتصعيد الخطابي، ومن خلال رؤية نقدية تحليلية، تسلط هذه الدراسة الضوء على تجليات هذه الثنائية في الشعر الجزائري، مستعرضة آليات التوظيف الفني، والتأثيرات الأيديولوجية، والبعد العاطفي والرمزي للقضية الفلسطينية في وجدان الشعراء الجزائريين، كما تناقش الدراسة كيفية تفاعل الشعر الجزائري مع التحولات السياسية للقضية الفلسطينية، ومدى تطور الخطاب الشعري بين الاستنكار والمقاومة، مما يعكس ارتباطاً وجدانياً عميقاً بالقضية ومصيرها.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية؛ الشعر الجزائري؛ الالتزام؛ التحرر؛ المقاومة.

Abstract:

Commitment to the Palestinian cause occupies a prominent place in Algerian poetry, as poems reflect diverse positions ranging from condemning the occupation and expressing anger to issuing threats and adopting escalatory rhetoric. Through a critical and analytical perspective, this study sheds light on the manifestations of this duality in Algerian poetry, examining the mechanisms of artistic employment, ideological influences, and the emotional and symbolic dimensions of the Palestinian cause in the consciousness of Algerian poets. The study also discusses how Algerian poetry has interacted with the political transformations of the Palestinian cause and the extent to which poetic discourse has evolved between denunciation and resistance, reflecting a deep emotional attachment to the cause and its destiny.

Keywords: The Palestinian Cause; Algerian Poetry; Commitment; Liberation; Resistance.

1. مقدمة:

سَطَّر الشعر الجزائري عبر تاريخه الطويل موقفه الراسخ من القضية الفلسطينية، جاعلاً من قوافيه منبراً للحق، ومن أبياته معقلاً للمقاومة، ولم يكن هذا التفاعل مجرد تعاطف عابر، بل كان انصهاراً وجدانياً يعكس وحدة المصير وتشابه المأساة، حيث امتزجت نكبة فلسطين بذاكرة الجزائريين التي لا تزال مشتتة بندوب الاستعمار، فكان الشعر شاهداً على الألم، وناقوساً يدق في أروقة الضمير العربي، مستنهضاً العزائم، ومؤكداً أن الاحتلال مهما تجرّب، فإن المقاومة باقية كحتمية لا مفرّ منها.

وفي صميم هذا التفاعل تتجلى ثنائية "التنديد" و"التهديد" كجوهر متأجج في الخطاب الشعري الجزائري، حيث تصير القصيدة وثيقة إدانة وساحة معركة في آنٍ واحد، فمن ناحية يعمد الشعراء إلى التنديد بالجرائم الصهيونية، يفضحون غطرسة المحتل، ويحيون في وجدان الأمة صوت الأرض المغتصبة، فيسيل الخبر مرثي دامة تُخلد شهداء القضية، وتصور آلام الأسرى والمنكوبين، وتستنطق ذاكرة المكان الجريحة، ومن ناحية أخرى ينبثق التهديد من بين الحروف، مزلزلاً أركان الصمت، مؤكداً أن فلسطين ليست نحيباً مكتوماً، بل نارٌ تتقد تحت الرماد، وبركانٌ يتأهب للانفجار، فيغدو الشعر سلاحاً يزاحم الرصاص، ونذيراً بأن ليل الاحتلال مهما طال، فإن شمس المقاومة آتية لا محالة.

وهكذا تتخذ هذه المداخل سبيلها إلى استنطاق هذه الرؤية النقدية، مستكشفة كيف تماهى الشعر الجزائري مع القضية الفلسطينية في هذا التوتر الفني بين التنديد والتهديد، بين النواح الثوري والوعيد الغاضب، بين المرثية المقاومة والنشيد المحرّض، في لوحة شعرية تتوهج بالألم والأمل، مستعيدة فلسطين من برائن الاحتلال، لا بالخبر وحده، بل بنبض الكلمات التي تقاتل، وبوهج القصائد التي لا تموت.

2. القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري:

يحظى الأدب الجزائري بشقيه الشعري والنثري، بحضور بارزٍ للقضية الفلسطينية، حيث تحتل مكانة مركزية في وجدان الأدباء والمبدعين الجزائريين، الذين أولوها اهتماماً كبيراً، لم تحظ به أي قضية عربية أو قومية أخرى، ويعود هذا الاهتمام العميق إلى البعد الديني والتاريخي الذي تتمتع به فلسطين، فهي مهد الديانات السماوية، وأرض الأنبياء، والمقدسات الإسلامية، مما جعلها قضية تتجاوز حدود الجغرافيا والسياسة، لتصبح همّاً مشتركاً بين جميع المسلمين في مختلف بقاع الأرض.

وقد مثّلت القضية الفلسطينية محوراً أساسياً في الإبداع الأدبي الجزائري، إذ تفاعل معها الشعراء والكتاب، وجسّدوا في أعمالهم معاناة الشعب الفلسطيني، وما يتعرض له من ظلم واضطهاد واحتلال غاشم، مؤكدين في كتاباتهم على وحدة المصير بين الشعبين الجزائري والفلسطيني، ولم يكن هذا التفاعل مجرد تعبير عن التعاطف، بل

كان امتداداً طبيعياً لنضال الجزائريين ضد الاستعمار، حيث وجدوا في مقاومة الاحتلال الصهيوني انعكاساً لتجربتهم الخاصة مع الاستعمار الفرنسي، ما جعل الأدب الجزائري يعبر عن القضية الفلسطينية بروح نضالية صادقة تتجاوز الشعارات إلى عمق المعاناة والمقاومة.

وعلى اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية، عبر الشعراء الجزائريون عن مشاعرهم تجاه ما يحدث في فلسطين، مستنكرين الاحتلال وما خلفه من مآسٍ، وما ارتكبه من جرائم في حق الأرض والشعب، وقد تكررت في قصائدهم صور المسجد الأقصى، ومآذن القدس، وأزقتها العتيقة، حيث جسّدوا حنينهم إلى هذه الأرض الطاهرة التي تُعدّ مهبط الأنبياء ومسرى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مبرزين قداستها وأهميتها في الوجدان الإسلامي والعربي¹.

إن القضية الفلسطينية لم تكن مجرد موضوع عابر في الأدب الجزائري، بل شكّلت ركناً أساسياً فيه، حيث استلهم منها الأدباء معاني الصمود والتضحية، فجاءت كتاباتهم محمّلة بروح الكفاح والإصرار، لترسخ بذلك العلاقة التاريخية العميقة بين الجزائر وفلسطين، التي امتزجت عبر العقود بدماء الشهداء، وبإيمان راسخ بأن الحرية حقّ مقدس لا يقبل المساومة.

وهناك ثلاثة عوامل رئيسة تجعل القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا التي شغلت -ولا تزال تشغل- وجدان العالم العربي والإسلامي:

1.2. البعد الديني والتاريخي: تتجلى أهمية القضية الفلسطينية في قدسية الأرض التي تحتضن المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، مما يمنحها مكانة مركزية في قلوب المسلمين، فهذه الأرض المباركة ليست مجرد رقعة جغرافية، بل هي جزء من العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، حيث ارتبطت بأحداث دينية مفصلية جعلتها محط اهتمام دائم للمسلمين في كل مكان، وقد قال الله جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾²، فتشير هذه الآية إلى حادثة الإسراء التي كرم الله بها نبيه محمداً ﷺ، حيث أسرى به ليلاً من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، وهو مكان مقدس باركه الله وأحاطه بآياته.

2.2. البعد السياسي والصراعي: تتجسد طبيعة الاحتلال الصهيوني في اعتماده على روايات دينية وتاريخية مشوهة لتبرير وجوده، متخذاً من سياسات التوسع والتهجير القسري وسيلة لتحقيق أهدافه، ويهدف هذا الاحتلال إلى فرض واقع جديد على الأرض من خلال الاستيطان والاعتداءات المتكررة، وهو ما يهدد حقوق الفلسطينيين في وطنهم ويجعل الصراع مستمراً بين الحق المشروع ومحاولات الطمس والتزييف.

3.2. البعد الجيوسياسي والدولي: يُعد التحالف الصهيوني الغربي عاملاً رئيساً في استمرار الأزمة، إذ يسعى إلى تفتيت العالم الإسلامي وإضعافه من خلال دعم الاحتلال وتعزيز الانقسام بين الدول العربية، فبدلاً من تمكين الشعوب من تقرير مصيرها، يتم تكريس حالة التبعية للقوى الكبرى، ما يؤدي إلى استمرار النزاعات وإطالة أمد الاحتلال³.

كل هذه العوامل جعلت القضية الفلسطينية قضية جوهرية للعالمين العربي والإسلامي، ورسّخت في وجدان الأمة ضرورة السعي لاستعادة الحقوق المسلوقة، وتحرير فلسطين من الاحتلال، مع التأكيد على هويتها العربية والإسلامية.

3. ثنائية التنديد والتهديد في النصوص الشعرية:

تمثل ثنائية "التنديد" و"التهديد" في النصوص الشعرية بُعدين متكاملين يعكسان استجابة الشعراء للأحداث الكبرى، لا سيما في القضايا المصرية كالقضية الفلسطينية، فبينما يُعبّر التنديد عن رفض الظلم والاستعمار من خلال تصوير المعاناة وإدانة الاحتلال، يأتي التهديد بوصفه خطاباً مقاوماً يستدعي القوة والردع، وتعكس هذه الثنائية في الشعر تفاعلاً جدلياً بين الرفض والتحريض، حيث لا يكتفي الشاعر بالتعبير عن الغضب، بل يتجاوز ذلك إلى تبني موقف يُحفز الفعل المقاوم، مما يجعل النصوص الشعرية مجالاً لتجسيد الوعي الثوري والتحريضي في آنٍ واحد.

1.3 التنديد في الشعر الجزائري: بين توثيق المعاناة ونقد المواقف العربية.

يشكل موقف "التنديد" في الشعر الجزائري تجاه القضية الفلسطينية بُعداً نقدياً واضحاً يعكس رفض الاحتلال الصهيوني وممارساته القمعية، إلى جانب انتقاد المواقف العربية المتخاذلة، وقد ارتكز هذا التنديد على توثيق المجازر والتهجير والانتهاكات المستمرة، حيث استخدم الشعراء تقنيات تصويرية مباشرة ورمزية لإبراز معاناة الفلسطينيين، كما وظفوا البنية اللغوية والأسلوبية للتعبير عن الاستنكار، سواء من خلال تواتر الألفاظ ذات الدلالات الاحتجاجية، أو من خلال بناء سياقات شعرية تعكس الغضب والإدانة، وبهذا أصبح التنديد في الشعر الجزائري عنصراً أساسياً في تشكيل الخطاب الأدبي المناصر للقضية الفلسطينية، متجاوزاً البعد العاطفي إلى رؤية نقدية تتناول أسباب الصراع وتداعياته.

ويتجسد هذا الموقف بوضوح في المشهد السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر آنذاك، حيث كان مثقلاً بالقيود والظلم، فقد كان «يعكس الوضع السياسي في الجزائر إبّان الفترة نفسها، وهو وضع مثقل بالقيود وبالظلم... والظاهرة نفسها نجدها في الشعر القومي الجزائري المتّصل بقضية فلسطين، فنحن نجد العديد من القصائد مما يدلّ على عناية الشعراء بالقضية، إلّا أن آرائهم لم تتعد التنديد بالقسمة الظالمة التي فرضها الاستعمار

والصهاينة على الشعب الفلسطيني والتعبير عن تألم الشعب الجزائري لما حلّ بالأشقاء الفلسطينيين من الآلام»⁴، فالشعر الجزائري لم يكن منفصلاً عن قضايا الأمة، بل شكل انعكاساً للهموم المشتركة، حيث عبّر عن التضامن مع الشعب الفلسطيني من خلال خطاب يستنكر الظلم الواقع عليه، لكنه بقي في إطار التنديد دون أن يتخذ منحى تحريضياً أو يدعو إلى المواجهة المباشرة، ومن نماذج ذلك قول "محمد العيد آل خليفة"⁵:

يا قسمة القدس أنت ضيزى لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا بما جرى من دم سيفك
القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك

يظهر في هذه الأبيات أن الشاعر لم يتبنّ موقفاً واضحاً أو حاسماً تجاه القضية، بل اكتفى بالتعبير عن التنديد والمواساة دون تقديم رؤية أو طرح بديل فعّال، ويمكن تفسير هذا الموقف المتسم بالضعف والتردد على ضوء الأوضاع السياسية السائدة آنذاك، حيث كان الاستعمار والصهيونية ينفذان مخططاتهم الإجرامية في فلسطين، بينما كان الشعب الجزائري يزرع تحت نير الاحتلال، يعاني من القمع والتضييق والاضطهاد، وفي ظل هذا الواقع المرير فقد الجزائريون جزءاً كبيراً من حقوقهم الأساسية، بما في ذلك حرية التعبير والمشاركة السياسية، مما انعكس على نتاجهم الأدبي والشعري، فليس من المستغرب إذن أن تقتصر مواقف الشعراء في تلك الفترة على التنديد والاستنكار، دون القدرة على تقديم رؤى أو اقتراحات للحلول أو التحريض الفعلي على المقاومة، إذ كان أي تعبير يتجاوز ذلك يعرض صاحبه لخطر الملاحقة والعقاب من قبل المستعمرين، ويمكن فهم طبيعة هذه الأبيات باعتبارها انعكاساً للظروف السياسية والاجتماعية القاسية التي أحاطت بالشاعر، والتي جعلت من شعره صدى للمعاناة أكثر منه دعوة إلى الفعل والمواجهة⁶.

ووجه الشاعر "محمد العيد آل خليفة" نداءً حاراً إلى الأمة العربية، مؤكداً على ضرورة التنديد والاحتجاج ضد الظلم والاستبداد الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، لم يكن موقفه مجرد تعاطف عابر، بل دعوة صريحة إلى اتخاذ موقف حاسم وفعّال في مواجهة القهر والاستعباد، ورأى الشاعر أن هذا الرفض واجب مقدس لا يجوز التهاون فيه، إذ يتجاوز البعد السياسي ليصبح التزاماً أخلاقياً وإنسانياً تفرضه قيم العدل والمروءة، كما شدد على أن التضامن مع فلسطين لا يقتصر على الشعارات، بل ينبغي أن يكون موقفاً ثابتاً يعكس أصالة الهوية العربية والإسلامية، وامتداداً طبيعياً لروح النضال ضد كل أشكال القمع والاستبداد، ومن ذلك قوله:

بين المشارق والمغارب إخوة لك عصبة بقلوبهم والأذرع
مدّوا إليك بها حال إخوانهم فصلي حال إخوانهم لا تقطعي
هلاً أغثت القدس منك بلفتة غيرى شعب هناك مُروّع

القبلة الأولى تَصْرُحُ وتشـتـكـي من قسمة المُستأثر المستنقع
ضُمِّي احتجاجك لا حتجاج حماةـا واستنكري تقسيمه واستفطعي
إيـهـِ فلسـطين الشـقيقة لا تـني عن ردّ عدوان اليهـود الأشنع⁷

كما يبرز الشاعر "أحمد سحنون" موقفه الحازم والمعارض بشدة لمخططات تقسيم فلسطين، التي يعتبرها أرض الرسالات السماوية ومهد الأنبياء، ويرى أن هذه الأرض الطاهرة قد تعرضت للتدنيس على أيدي أعداء الإسلام، مما يستوجب على العرب أن يتحملوا مسؤوليتهم التاريخية في الدفاع عنها، ومن هذا المنطلق يدعو الشاعر الأمة العربية إلى النهوض بواجبها المقدس، والمطالبة بتطهير فلسطين من كل أشكال الاحتلال والعدوان، مشبّها المحتلين اليهود بعبدة العجل، في إشارة إلى خيانتهم وانحرافهم عن القيم الحقيقية، وفي سياق موقفه الحازم، يعبر الشاعر عن مشاعره الصادقة عبر أبياته الشعرية، مؤكّداً ضرورة الوحدة والتضامن بين أبناء الأمة الإسلامية لاستعادة الحق المسلوب، ويجسّد الشاعر هذا الموقف في قوله:

أمـواطئ أقـدام النـبيـين والرّسـل وموطن نـسل الوحي بُوركت من نـسل
فـداك العـدى لا تقبـلي قسـمة العـدى وللموت سـيري لا تـبـيـتي عـلى ذل
ولا تخفـلي بالنّاس إن جار حُكـمـهُـم عـليك فـإنّ الله يحكـم بالـعدـل
وخلفك جيش من بني العرب رابضٌ ليُبعد عن أرض الهـدى عابـدي العـجل⁸

ويتجلى هذا الموقف ذاته بوضوح في شعر "محمد الصالح خبشاش" حيث يعبر عن رفضه القاطع لسياسات التقسيم الجائرة التي فُرضت على الشعب الفلسطيني، ويرى فيها ظلماً تاريخياً سلب هذا الشعب حقوقه المشروعة، وزرع بذور الفرقة والصراع في المنطقة، ومن خلال قصيدته يندّد الشاعر بالقسمة الظالمة التي لم تكتفِ بإحداث شرخ سياسي وجغرافي، بل تجاوزت ذلك لتكون سبباً مباشراً في إراقة دماء الأبرياء، وإشعال فتيل المآسي التي لا تزال مستمرة.

ويحمل خطاب الشاعر بُعداً إنسانياً عميقاً، إذ لا ينظر إلى القضية الفلسطينية بوصفها أزمة تخص الفلسطينيين وحدهم، بل يعتبرها جرحاً نازلاً في جسد الأمة العربية والإسلامية، ما يستدعي وقوف الجميع صفّاً واحداً ضد هذا الظلم، وفي ظل هذا الواقع الأليم، تأتي أبياته لتعكس مشاعر الأسى والغضب، مؤكدة على ضرورة الوعي بالمخاطر التي ترتبت على هذا التقسيم الجائر، والدعوة إلى التمسك بالحقوق وعدم الاستسلام للأمر الواقع، ويعبر الشاعر عن هذا الموقف الرفض بقوله:

ظلمـوك يا مهـد ظلمـوك وبصـارم العـدوان قد قسـمـوك

أصبحت ميدان الحوادث بعدما هاجت عليك مطامع الصعلوك
باتت بك القتلى تمج دماءها تنسي الفتى في وقعة اليرموك⁹

يرى الشاعر الشهيد "عبد الكريم العقون" أن ما حلّ بفلسطين من ظلم واضطهاد لم يكن سوى نتيجة حتمية لحالة التشرد والتفكك التي عصفت بالأمة العربية، فقد أصبحت فلسطين، في ظل هذا الضعف، فريسة سهلة بين أيدي القوى الاستعمارية والصهيونية، اللتين استغلّتا غياب الوحدة العربية لتحقيق أطماعهما، وفي هذا يوجّه الشاعر نداءً صادقاً إلى الأمة، محذراً إياها من خطورة استمرار هذا الانقسام، مؤكداً أن خلاص فلسطين واستعادة حقوق شعبها لا يمكن أن يتحقق إلا عبر تضافر جهود الأمة وتوحيدها على قلب رجل واحد.

ويظهر التنديد أيضاً في نبرة التحذير التي يعتمدها الشاعر، إذ لا يكتفي بتوصيف الواقع المأساوي، بل يطلق صرخة وعي تدعو الأمة إلى إدراك خطورة استمرار الانقسام، مؤكداً أن استمرار هذا الوضع لن يؤدي إلا إلى مزيد من التراجع والخسائر، إنه تنديد مزدوج، يحمل الأمة مسؤولية ما جرى، وفي الوقت نفسه، يدعوها إلى إصلاح هذا الخلل عبر استعادة وحدتها ونخضتها، مما يعكس رفضاً قاطعاً لحالة السلبية والخضوع التي تعيشها الأمة في مواجهة التحديات المصيرية، ويخط الشاعر أحرفه بمداد الشعور قائلاً:

أرى الغرب قد جمعوا شملهم على الشرق، والشرق مثل الصبي
درس فلسطين درس بليغ يذكروا الحلف في موكب
روبيدك يا غرب لا تغترروا فشمس بني الشرق لم تغرب
وإنا سـنرجع عهد الإخاء ونجمع شمل بني يعرب
فحسبك بالضاد من نسبة إذا ما انتسبنا، ودين النبي¹⁰

وهذه الأبيات تعكس رؤية الشاعر للصراع الحضاري بين الشرق والغرب، حيث يصور الغرب قوة موحدة، اجتمعت صفوفها ضد الشرق الذي يبدو في حال من التشتت والضعف، أشبه بصبي لم ينضج بعد، ويبرز في الأبيات "درس فلسطين" بوصفه تجربة قاسية ومؤلمة، تحمل في طياتها العبرة والدلالة العميقة على أثر الفقرة والتخاذل، فتذكر الأمة العربية بأهمية الاتحاد، تماماً كما كان الحلفاء في صف واحد خلال المحن.

لكن الشاعر رغم هذا الواقع، لا يغرق في التشاؤم، بل يستنهض الهمم بثقة، محذراً الغرب من الاغترار بقوته، مؤكداً أن شمس الشرق لم تأفل بعد، وأن العودة إلى عهد الإخاء ووحدة العرب ليست مستحيلة، ويرتكز في دعوته للوحدة على رابطتين قويتين: "اللغة العربية - لغة الضاد-"، التي توحد العرب ثقافياً وهوية، و"الدين

الإسلامي"، الذي يشكل عاملاً جامعاً بينهم، حيث يختتم الشاعر أبياته بتأكيد على أن هذه الروابط كفيلة بإعادة مجد الأمة ووحدها، وإن الأبيات تأتي في إطار تحفيزي، تحمل بعداً نضالياً، وتستند إلى رؤية واضحة مفادها أن النهضة لن تتحقق إلا عبر تجاوز الانقسام والتمسك بالمقومات المشتركة التي توحد الأمة في مواجهة التحديات.

2.3. القصيدة الجزائرية وسلاح التهديد: صدى فلسطين في الحروف.

تشذ القصيدة الجزائرية حروفها كسيوف مشرعة، وتنسج كلماتها لهباً يحرق جحافل الظلم، فلا تعرف التخاذل، ولا ترضى بالمهادنة، إنها صوت الثورة حين يصمت السلاح، ونداء العزة حين يطول الليل، تصرخ في وجه الطغيان، متوعدة الغاصب بالزوال، مستلهمة من تاريخ الجزائر روح الفداء، ومن نضال فلسطين عزيمة الصمود.

وفي صلب هذه القصيدة يتجلى "التهديد" كسلاح لغوي يزلزل أركان المحتل، ويرسم ملامح الرفض القاطع لكل أشكال القهر والاستبداد، ليست أبياتها مجرد أنين على الأطلال، ولا نواحاً على المجد الضائع، بل هي صفارة إنذار، وراية تمرد، وصدى لهيب يشتعل في الحناجر، يحرض، يهدد، ويرفض الاستسلام، فالشاعر الجزائري لا يرثي الواقع، بل يصنعه، كلماته براكين تثور، تحطم جدران الصمت، وتجعل من "التهديد" أداة مقاومة، ومن القصيدة سلاحاً لا يلين، في معركة الحق التي لا مكان فيها إلا لمن يؤمن أن الوطن لا يُستعاد إلا بالعزم والنار.

وقد تطور النضال الوطني في الجزائر ليجسد روحاً ثورية لا تقبل المساومة، حيث برز بقوة في المواقف الراضية لأي شكل من أشكال الهدنة أو التقسيم، فلم يكن هذا الرفض مجرد موقف سياسي عابر، بل كان نابغاً من وعي عميق بطبيعة الظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون، وامتداداً لمبدأ الدفاع عن كرامة الأمة العربية والإسلامية، التي اعتبرتها الجزائر جزءاً لا يتجزأ من هويتها ونضالها التحرري¹¹.

ويعكس هذا الموقف ما جسده الشاعر "الربيع بوشامة"، الذي لم يكن مجرد شاعر يعبر بالكلمات، بل كان مجاهداً حمل قلمه كالسيف، ووقف في ميدان النضال، مستنهضاً هم الجزائريين وإخوانهم العرب، فقد رأى أن القضية الفلسطينية ليست مجرد مأساة بعيدة، بل جرح غائر في جسد الأمة، فدعا إلى رص الصفوف وتوحيد الجهود، محذراً من التخاذل والاستسلام، ومؤكداً أن النصر لا يتحقق إلا بالعزيمة والتضحية، مردداً بصدق وإيمان وفي هذا يصدق الشاعر بكلماته معبراً عن رؤيته بقوله:

أين ذاك الجزائري المجلّى في ميادين كل حرب عوان؟
هل نسيتم عهد الأخوة والقرى
وفضل التحريّر والإحسان؟

كلكم إخوة كرام وأهل

فانفضوا للفدا ولبوا سراع

وأغيثوا مله وفكم واستجيبوا

للفلسطين غرة البلدان
داعي الله من سما الأنوان
لضعيف المقهور بالعدوان¹²

إنها صرخة شاعر شهيد نذر حياته للنضال، وجعل من كلماته نارا تحرق قيود الظلم، ونورا يبدد ليالي الاستعمار الخالكة، لم يكن شعره ترفاً أديباً، بل كان نداءً ملتهباً، يشارك فيه شعبه جراحه، ويتجرع معه كأس المعاناة، فالألام فلسطين تجري في عروقه كما تجري في شرايين كل عربي حر، يهيب بالشباب الجزائري والعربي أن ينهضوا من غفلتهم، أن يلبوا نداء الواجب، أن يهتوا نصره للمقهورين حتى تتحطم أغلال الطغيان، فليس الصمت خياراً، ولا التخاذل سبيلاً لمن وُلد حراً، إن كلماته سلاح مقاومة لا يخبو، توقظ الضمائر، وتشحذ العزائم، وترسم للأمة درباً نحو التحرر، حيث لا بديل عن الكفاح، ولا خلاص إلا بالعزة والكرامة، وعن هذا الواقع المرير، ينطق لسان الشاعر بهذه الأبيات:

فتى العرب هيا قلب النداب

فلسطين في النار نهب العدا

ولم يكن تحديد الشعراء الجزائريين لأساليبهم الشعرية مقتصرًا على التحول من النمط العمودي إلى الشعر الحر أو قصيدة النثر، بل كان انعكاسًا لرؤية أعمق تنبع من التزامهم بالقضايا المصرية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، حيث ظل موقفهم ثابتًا في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني والتنديد بالممارسات الاستعمارية التي تستهدفه، ولم يقتصر دورهم على التعبير العاطفي، بل امتد إلى التحريض والدعوة إلى الثورة والانتفاض ضد المحتل، مستلهمين مواقف رموز الشعر العربي المقاوم، مثل: "أبو القاسم خمار"، الذي جسّد في شعره روح التحدي والإصرار على التحرر، حين قال في إحدى قصائده:

لن نرتضي عارًا جديدًا في فلسطين السلبية

لا .. لن يداس المسجد الأقصى وأرضنا الحبيبة

أيسجل التاريخ للصهيون عمراً في حياتنا

إنا إذن قوم أحق بأن نذان وإن نمنا

قسماً بنقمة شعبنا .. بالجيش يكتسح الخلودا

باللاجئات عيونهن .. الثأر إسالنا الصمودا

بالأرض، بالشهداء، بالأحرار.. لن ندع اليهودا

حتى ولو جاءتهم الأقدار تملأهم جنودا

قسماً بعزتنا.. سندحرهم، سنمحمهم حشوداً¹⁴

لم يستكن الشاعر "أبو القاسم خمار" لمراة النكسة، بل واجهها بروح ثائرة، داعياً إلى التهديد والوعيد لكل من اغتصب الأرض ودنس المقدسات، ومؤكداً أن لا سبيل سوى المواجهة والكفاح لاستعادة الحق المسلوب، ولم يعد القسّم في شعره مجرد تعبير ديني أو أخلاقي، بل تحوّل إلى صرخة مدوّية تشحذ العزائم، تربط بين دماء الشهداء وإرادة الثأر، وبين صمود الجيش وعزيمة اللاجئين، لقد كان هذا التحوّل انعكاساً لوعي جديد في الشعر العربي بعد النكسة، حيث لم يعد التهديد مجرد كلمات جوفاء، بل صار وعداً بأن النصر لا يوهب بل يُنتزع، وأن العودة إلى الأرض المقدسة لن تتحقق إلا حين يتحول الغضب إلى ثورة، والوعيد إلى فعل، والتهديد إلى انتقام عادل يعيد الحقوق إلى أصحابها¹⁵.

هنا القدس .. يا أُمّي رَدّدي:

هنا تل أيبب .. هنا الناصرة

زحفنا .. زحفنا .. فلا مدفع يرد خطانا .. ولا طائرة

زحفنا للدمارك يا إسرائيل

بقوتنا .. بانتقاماتنا

بعزم إرادتنا القاهرة¹⁶

تعكس هذه الأبيات البعد التهديدي الواضح في الخطاب الشعري المقاوم، حيث يصور الشاعر تقدم المقاومة بثبات وعزيمة لا تردعها الأسلحة ولا القوة العسكرية، مما يعكس تحدياً صريحاً لقوة الاحتلال، ويصل التهديد إلى ذروته مع التصريح بالسعي نحو الدمار الكامل لليهود، مستنداً إلى قوة الانتقام وإرادة لا تلين، وبهذا تتجلى ثنائية "التنديد والتهديد" التي ميزت الشعر الجزائري حول القضية الفلسطينية، حيث لم يقتصر الأمر على كشف جرائم الاحتلال، بل تعدّاه إلى توجيه وعيد صارم بأن المقاومة مستمرة حتى تحقيق النصر واستعادة الحقوق المسلوقة.

4. خاتمة:

بعد هذه الرحلة النقدية في أعماق الشعر الجزائري، حيث تتجلى القضية الفلسطينية بوجهيها المتكاملين: التنديد بالاحتلال وتهديده بالمقاومة، نقف على حقيقة راسخة مفادها أن الأدب ليس مجرد وسيلة للتعبير، بل هو سلاحٌ معنويٌّ يذود عن القضايا العادلة، ويجفر في الوجدان العربي معالم النضال والتمسك بالحقوق.

-لم تكن القضية الفلسطينية مجرد موضوع شعري عابر في الأدب الجزائري، بل شكّلت ركناً أساسياً في الوجدان الوطني والقومي للشعراء، ويعود هذا الارتباط إلى التشابه بين معاناة الشعبين الجزائري والفلسطيني تحت

وطأة الاحتلال، مما جعل التفاعل مع القضية يتجاوز البعد العاطفي إلى التزام نضالي صادق، حيث عبّرت القصائد عن وحدة المصير وضرورة استمرار المقاومة حتى التحرير.

- جاءت النصوص الشعرية معبرة عن رفض الاحتلال اليهودي من خلال الجمع بين التنديد بجرائمه والتهديد بالمقاومة، ففي كثير من القصائد، يظهر الشاعر مستنكراً ممارسات الاحتلال، مصوراً معاناة الفلسطينيين تحت وطأة القمع والتهجير، بينما تتخذ قصائد أخرى طابعاً تحريضياً، حيث تتحوّل الكلمات إلى سلاح يشحذ الهمم ويدعو إلى التصدي والمواجهة.

- شهد الخطاب الشعري الجزائري تغيرات واضحة في تناوله للقضية الفلسطينية، حيث انتقل من التعبير عن الألم والاستنكار في المراحل الأولى إلى الدعوة الصريحة للمقاومة المسلحة مع مرور الزمن، فبينما ركزت النصوص القديمة على تصوير معاناة الشعب الفلسطيني والتنديد بالاحتلال، بدأت القصائد الحديثة تميل إلى التحريض، مؤمنة بأن استعادة الحقوق لا تكون إلا بالقوة.

- لم يكن الشعر الجزائري مجرد وسيلة للتعبير عن التعاطف مع الشعب الفلسطيني، بل تحوّل إلى أداة نضالية تعبّئ الجماهير وتحرضها على المقاومة، فقد جاءت العديد من القصائد محملة برسائل تحريضية تؤكد على أن النصر لا يتحقق إلا بالإصرار والتضحية، مما جعل الشعر مساهماً في تشكيل الوعي الثوري، وداعماً لمسار التحرر، ومنح القضية الفلسطينية بعداً ثقافياً مقاوماً لا يقل أهمية عن الكفاح المسلح.

وبهذا يبقى الشعر الجزائري صوتاً مقاوماً، يجمع بين التنديد بجرائم الاحتلال والتهديد بمواجهته، مؤكداً أن فلسطين قضية وجدان عربي لا تموت، وستظل القصيدة الجزائرية سلاحاً نضالياً يخلد الحق، ويؤكد أن الكلمة المقاومة لا تزال حية ما دام النضال مستمراً.

5. الهوامش:

¹ - ينظر: عبد اللطيف حني، تجليات القضية الفلسطينية في الشعر الشعبي الجزائري - ديوان المدني رحمون البسكري-، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 16، 2014م، ص: 219.

² - سورة الإسراء، الآية: 01.

³ - ينظر: محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت - لبنان، 2012م، ص: 09.

⁴ - أحمد شرقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري - من سنة 1923م - إلى سنة 1954م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2010م، ص: 133.

⁵ - محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م، ص: 314.

⁶ - ينظر: أحمد شرقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري - من سنة 1923م - إلى سنة 1954م، ص: 133.

- 7 - محمد العيد آل الخليفة، الديوان، ص: 147.
- 8 - أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007م، ص: 128.
- 9 - أحمد شرقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري - من سنة 1923م - إلى سنة 1954م، ص: 134.
- 10 - ينظر: محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2005م، ص: 119.
- 11 - ينظر: أحمد شرقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري - من سنة 1923م - إلى سنة 1954م، ص: 137.
- 12 - محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص: 119.
- 13 - عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الجبلاوي، القاهرة - مصر، 1970م، ص: 65.
- 14 - محمد أبو القاسم خمار، ديوان "أوراق"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982م، ص: 65.
- 15 - ينظر: الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص: 143.
- 16 - محمد أبو القاسم خمار، ديوان "أوراق"، ص: 55-56.

6- قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007م.
- 2- أحمد شرقي الرفاعي، الشعر الوطني الجزائري - من سنة 1923م - إلى سنة 1954م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2010م.
- 3- عبد اللطيف حني، تحليلات القضية الفلسطينية في الشعر الشعبي الجزائري - ديوان المدني رحمون البسكري، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 16، 2014م.
- 4- عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، مطبعة الجبلاوي، القاهرة - مصر، 1970م.
- 5- محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت - لبنان، 2012م.
- 6- محمد أبو القاسم خمار، ديوان "أوراق"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982م.
- 7- محمد العيد آل الخليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.
- 8- محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2005م.
- 9- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.